

## بريان<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

بري من زور مقاطعة بريتانى في شمال فرنسا الغربي ، سياجاً طلياً يفصل مزرعة كل فلاح عن مزرعة جاره . فالقوم هناك يميلون الى العزلة تشهد آثارها في رغبة الصيادين عن المباشطة في الحديث ، حتى اصطحاب الآلات وضوضاؤها في بلد صناعي كبلد نانت ، لم يخرجهم عن رغبتهم المشهورة في العست . انهم سلتيون<sup>(٢)</sup> ويمتنون الى البريطانيين بصلة السلالة لما ولد بران سنة ١٨٦٢ - من سبعين سنة - وورث دماً خليطاً من والديه . كانت أمه غسالة وأسرته فلاحه من الطبقة المتوسطة . ولكن بين اسلافه رجل نبيل المعتقد من الأسترلستقراطية في تلك الأناحية . فبقيه أحدث عناصر ثلاثة - الفلاح والارستقراطي والبريتاني . والرجل السياسي الذي خرج من اتحاد هذه العناصر ، كان غريب الأطوار ، يختلف كل الاختلاف عن معاصريه من رجال السياسة في أوروبا . انه يفوقهم على الاقل في طول الزمن الذي ولي فيه الحكم ، ولعله يفوقهم حزماً كذلك ا

ورث من ابيه السلي ، تينك العينين الزرقاوين اللتين ترأودها الاحلام ، كعيون البحارة من ابناء مقاطعته ، وذلك الميل الى العزلة والرغبة في الابتعاد عن الاجتماع والاقبال على الحياة الخشنة القشغة والزروع الى الفوضى . ومن اسلافه الفلاحين وورث انحناءه وشعره الكث وبعض دهائه . ومن منبته البورجوزي - الطبقة المتوسطة - اخذ زهله وخوله . ومن صلته بالمهال تناول رغبته العامة في تحمين الحالة العامة وثقت الكبيرة بالجواهر . ولكن يديه يدا ارستقراطي صميم ، وصوته موسيقي رخيم ، شبه بعضهم بصوت «القبولنتسو» وهو كذلك يتصرف تصرف الرجل المحرب الممارس لحياة الاجتماع ، ويمتاز بدهاء رجال السياسة من زعماء المدرسة القديمة كتاليران وذررائيلي

ان تحليلاً موجزاً كهذا للتحليل لناقيه وصفاته اهد ما يكون عن بران الرجل على حقيقته ولكنه يدفع شيئاً من الدهشة التي يثيرها النظر في صفاته المتباينة المتناقضة . اذ قل من ادرك ان بران شخصية معقدة النواحي . وكلما ارتفعت شخصية من هذا القبيل في سلم المقام الاجتماعي زادت دهشتنا لدى قلب النظر في ما نشهده فيها من تناقض

ان بران بطبيعته رجل خول ، لا شيء احب لديه من عيشة الكسل ، والقذف في زورق

(١) من مقال لاميل لورخ الكاتب الاثاني الشهير (٢) السلتيون او الكلتيون Celts سلالة قديمة

كانت تقطن بلدان غرب اوروبا ومنى بلدانها المتوسطة

صغير ، والاكل والشرب والبساطة في الحديث ، والنظر الى الحسان ، ومكاملة الكلاب .  
وليس ثمة الا الطسوح دافعاً بهذا الرجل الكسول ، الراسب في الراحة وانطوائية ، الى  
تحقيق ما يحسبه عدلاً في وجه مقاومة شديدة من رجال البرلمان الفرنسي ، عن طريق ذلك الفن  
الفرنسي - الفصاحة الخلابه ، فقد كان في حديثه متحمساً لبعض الآراء ، ثم انصرف ذهنه عنها  
في كهولته ، ولكنه عاد اليها في شيخوخته وهو اشد تمسكاً لها وتعلقاً بها . ان لفظة «التسامح»  
اجمع الالفاظ لمناقبه ؛ لان كل ما تم على يديه انما تم عن طريق صبره وتسامحه . وقد كان غرضه  
ان يثبت مبدأ التسامح في الغير ، وفي كل نزاع خاص ، بين الطبقات او بين السلالات او بين  
الامم والعقائد . كان يمسد الى التوفيق بين النزعات والمطالب المتباينة في حسم النزاع . وتمسك  
الى ازالة اسباب الخضم القومي المعاصر ، بتطبيق روح القرن الثامن عشر ، وهو الروح  
المطبوخ بطابع الانسانية العامة

ان اسلوبه في تحقيق اغراضه لم يكن اسلوب الرجل القائل «انا اريد . وانت يجب عليك»  
لكن طبعه الموسيقي كان يترجم به الى ان يقول «يجب على الانسان» او «ألا يستطيع الانسان  
ان يفعل كذا وكذا ؟» . ان اعتداله وهدوء نفسه جعلاه من التلاش في ميدان السياسة الذين  
لا يحقدون ولا يحفظون اذا دخلوا في معركة ما ، فهو اذا طلب الحكم وتقلده ، لم يتمسك  
بأذياله ، وقد اشتهر في حياته السياسية الطويلة بأنه كان يستقبل فلما ينظر الى الاستقالة  
اضطراباً . اضفت الى ذلك انه من النادرين الذين اذا انتصروا لم يشمخوا ، لانه كان شديد العطف  
على المهذول ، نافذ البصر الى نفسه ، والى الغير العام . فقد عرف كيف ينتصر من غير ان  
يدي كما تعلم ان يهزم من دون ان يتهم تهماً يحمله على الخروج من الميدان

هذا الرجل الذي قلما عدا او اسرع في حياته ، وقلما وجّه لفظاً خادماً الى انسان ايما كان ،  
هذا الرجل الذي اغفته الاقدار من وجوب اصدار حكم فصل مناجره في موقف حرج ، كان  
لشدة تساهله وصدق عطفه ضعيفاً ، وكثيراً ما رجع ، كتابةً ، عما وعد به محادثة او مفاوضة .  
ولكنه اذا خطب في جمهور ، احرز النصر ، بشجاعته وعبقريته الخطابية - لان بريان مهما  
يقبل فيه فنان ، يصني ويتعلم ويفعل - كالاتقال والنساء - لا نظام له في ذلك ، معتصداً  
على الفطرة . وهو يفضل - كما تفضل كل امرأة بارعة - ان تدور حول عقبة تقوم في مسيله  
بدلاً من ازالها . ولما كانت معظم الآراء التي قرن اسمه بها من وحي الخاطر ، اعتقاداً  
منه بصدق بداعته ، اشتهر بأنه مرتجئ يلقي الكلام على عواهنه من دون درس او تحقيق .  
وهذا طراز من الرجل لا يلم به الدهن الفرنسي الدقيق المنطق . ومع ذلك لا اعرف بلاناً  
غير فرنساي في امكانها ان تجعل بريان في عداد زعمائها وترفعه الى المقام الاعلى  
قال بريان لاناطول فرانس يوم اجتماعه اولاً « انت رجل طيبه . فقال فرانس «لست بطيب

على الاطلاق . لانني لا املك الا المظف . ولذلك اخذت كثيراً . ابنت رجل طيب »  
فقال الرجل الثالث الذي جمع بينهما « وبريان رجل طيب كذلك . انه انسان لا اكثر  
ولا اقل » فابتهم بريان موافقاً وخرج متمماً لانه قلما يرغب في سماع المدح الموجه الى انتصاراته  
ولكنه لا يزال في توجيه المدح الى « طيبة قلبه »

اذا نظرت الى صورة بريان في صباه - في الياضة عشرة من العمر - وجدته وسم  
الطلعة طربل الشعر ضيق المحدثين ، فتحسبه شاعراً شديداً الاحساس او ارسقراطياً مؤصلاً  
لا من ابناء الامر الفقيرة . وكان في المدرسة بليد الدهن ، فكان يخرج مع معلمه كل احد  
لنزهة وكان المعلم يقول لتلميذه « انظر الى النباتات والازهار ، وتعلم من الطبيعة . فقلما نجد  
حكياً اصبح حكياً بالمطالعة » . قال بريان : « فتلقتِ الدرس ولذلك لم اقرأ في حياتي »  
ولاريد انه يغالي فيما يقول . ولكن لاريد كذلك في ان معظم معارفه ملتقط من احاديثه  
مع الناس . ولما كان ذكي الدهن ، مطبوعاً على الابداع ، فانه كان يلتقط ما يهجه او يفيدده .  
وهكذا قضى حياته السياسية الطويلة من دون ان يوسم بالجهل المطبق . وقد تعرف جول  
فرن الروائي الفرنسي المشهور الى التي بريان عن طريق معلمه المذكور فوصفه في احدي رواياته  
باسم « بريانت » فقال في وصفه

« لم يكن مجتهداً ، بل كان ذكياً . كان غالباً في مؤخر الفرفة ولكنه كان يستطيع ان يسبق  
طريقه الى الامام اذا اجتهد . كان مغامراً مقداماً محباً للقتال ، ولكنه كان مع ذلك حلو المعشر  
دمناً يبشر بالتسامح والسلمة . قال يوماً زملائه على الجزيرة وهو زعيمهم « لن امنع عنكم شيئاً .  
ولكن اذا سمى كل منكم ونصب عينه الخير العام ، لن يضطر احدكم ان يستأذن ازيم اذا  
رغب في عمل مقبول »

وقضى بريان ثلاث سنوات في الحى اللاتيني يتقل رسائل بخطه ليعيش في اثناء تلقي  
العلم . فكان يقول لما اشتهر اذا طلبه احد لايخذ توقيعاً او عبارة بخطه « تجردون جملة كبيرة  
من الاوراق التي كتبها ، في ذلك الدكان » . واخيراً فاز بلقب دكتور في القانون واصبح  
محامياً . وفي ميدان المحاماة اكتشف ما اخذته عليه الطبيعة من هبة القصاحة .  
وهذا الاكتشاف حدا به الى خوض ميدان السياسة وانجبت اليه الانتظار اولاً ، اذ كان في  
الثلاثين ، بعد خطبة بليغة خطبها في مؤتمر الاشتراكيين في مرسيليا

ولماذا اخذ بريان بالاشتراكية ؟ ان جوريس - وهو خطيب عظيم كذلك - اقبل على  
الاشتراكية عن طريق البحث والتنقيب والانتفاع بان مبادئها خير ما تحتاج اليه الامم . اما  
بريان فتوصل الى العقيدة نفسها لانه اتمق انه منحدر من اسرة فقيرة ، ولانه خبر بنفسه  
سوء الحال في مدينة صناعية . وكذلك حمله فقره من الظلم ان ينض الى صفوف الثوريين

برهة على أثر منعه من المرافعة زمناً خطاه ارتكبه . ولكنه مع ذلك قال في مقالة كتبها وهو في الثانية والعشرين : — « هل تكون نورة المستقبل دموية ، مثل كل الثورات التي سبقت ؟ انا لا اعتقد ذلك ، بل سوف تقع كما تسقط ثمرة ناشئة من الشجرة »

لنظك لا ترام في حدائته مشاقباً في سبيل النورة حتى وهو واقف لا بأساً قيصاً يخطب في جمهور من العمال بل عنى الغد من ذلك كان يدعو دائماً الى الاضراب العام كأدلة لانصاف العمال وزيادة شعور العامل بمكانته

وكان بريان في حدائته شديد الحماسة في الدعوة الى السلام . ان طبيعته للتسامح تحب الانسانية الميال الى الطبيعة والحيوانات والنباتات بنفس اليه رجال الحرب والقرود بوجه خاص ولذاتك انضم الى صفوف المقاومين للبرعة القومية المكتسحة ، وحداه به تقوده من الحرب الى الامعان بوحدة الامم . هذه العقيدة — لا ايماناً بحرب الطبقات — حفظته في صفوف الاشتراكيين كل حياته . فلما دعا صديقه هرث في سنة ١٨٩٤ الى وجوب الفرار من الجندية — مع انه كان في اوائل المتطوعين سنة ١٩١٤ — ودعي بريان للدفاع عنه قال في دفاعه : « اذا صدرت اليها الاوامر باطلاق النار على عدوة ، لانعرف به عدواً ، حولنا اسلحتنا الى الجهة المقابلة ! واشتغل بالحمامة بضع سنوات ثم انتخب عضواً في مجلس النواب وعني بكتابة مقالات في صحيفتي « المصباح » ( لا ترن ) و « الانسانية » ( اومانيتيه ) على انه لم ينصرف الى المطالعة والدرس كععض معاصريه ( بوانكاره ) وكان اذا حجزه اصدقاؤه في فرقة وطلبوا اليه ان يكتب مقالاً انتاحياً وطادوا اليه بعد ساعة وجدوه جالساً في صحابن دخان التبغ وليس امامه على الورق سطر واحد . فقد كان يؤجل ما يستطيع الى التأجيل سبيلاً

كانت فرنسا لما دخل بريان مجلس النواب وهو في نحو الاربعين معنية اشد العناية بالنزاع بين الكنيسة والدولة . وكان النزاع يدور حول المسألة الآتية : من يعين الاساقفة ومن يحدد سيطرتهم التعليمية ؟ وكان قد اتفق ثلاثون سنة ورجال الاحزاب المتطرفة يطلبون فصل الدولة عن الكنيسة . فلما ان ملكاً حاول ان يحل هذه المسألة قبل ١٣٠٠ سنة لكان حلها بجمرة قلم . ولكن علاقة الكنيسة بالدولة مسألة ما زالت مسيطرة على التاريخ الفرنسي من نحو الف سنة . حتى نبوليون اضطر ان يخضع لها ويسلم بعقد « كونكوردا » ( مساهدة بين البابا والدولة ) وهانحن في سنة ١٩٠٣ تثير مسألة تعيين اسقف هذا النزاع القديم

اما بريان قادر على المناكفة التي يناها السياسي الذي يحمل هذه العقيدة . وقد قال لي « انه عرض للوضوح صدفة . فقد كان يظن ان علاقة الدولة بالكنيسة من مواطن الضعف في بناء الجمهورية وقد كان يريد طبعاً ان يضع قانوناً من شأنه تدعيم الجمهورية »

هل رجع الى كتب التاريخ والمنشورات والوثائق الرسمية ؟ هل كان يتجاهل كلها اذا مر به في الطريق حقداً ومرارة ؟ ماذا فعل هذا الرجل الذي كان ينبغي ان يخرج السلطة الزمنية من يد الكنيسة في فرنسا ؟ ذهب الى الكهنة في الارياف وشرب معهم خمراً « برغندي » المعتق وزار البروتستانت واليهود ، وجمع منهم جماعات حول مائدة واحدة ثم جعلهم يتناقشون في الموضوع - قال : - « ان الانسان يتعلم في مدى اربعة اسابيع تقضى في الريف اكثر مما يتعلم في مدى اربع سنوات تقضى في البرلمان » . وهكذا وصل الى حكمه لا يخرج اي فريق جرحاً دامياً فتم له الاتفاق الذي يفي به كل محام كبير

بهذا الحل الموفق لهذه المسألة المعقدة تحول ريان من رجل حزبي الى سياسي يفوق الاحزاب. ولما عين وزيراً للمعارف والعبادة لكي يتمكن من تنفيذ قانونه وجب عليه وهو اشتراكي ان يقبل الانضمام الى وزارة بورجوزية . هل يفعل ذلك ؟ على هذا الحكم يدور مستقبل حياته. هل يفضل حزبه ومعارضة الحكومة على تحقيق فكرة انتع بصوابها ؟ هذه هي نرس المسألة التي عرضت للستر مكدونلد في شهر ائسطس ١٩٣١ لما الف الوزارة البريطانية القومية

اما عقيدة ريان الاشتراكية فلم تكن قائمة على مبدأ حرب الطبقات (اي النزاع بين طبقة العمال والبورجوزي) ولذلك لم يجد عائقاً في الاحتفاظ بعقيدته الاشتراكية الخاصة والاشتراكي في وزارة من طبقة يناهضها الحرب الاشتراكي . كان قبل سبع سنوات قد خطب خطبة تاريخية اذ انتظم ميزان الاشتراكي في وزارة بورجوزية وها هو الآن يفعل التمثل نفسه ا

ولما سألته عن النزاع النفسي الذي ساوره في تلك الايام قال لي : - « اتعلم ما فعلت ؟ لم استطع البقاء في الحزب ، ولم اثناً ان اتعمل عنه . فاخذت اجازة وقد امتدت بي الاجازة الى الآن » على ان الخطوة الجريئة التي خطاها ، فانتقل بها الى الوزارة بين خصومه السابقين لم تلبث حتى افضت به الى مأزق حرج . ألم يدع وهو في الحزب الاشتراكي الى وجوب تأليف نقابات العمال ، ضد القانون ؟ ومع ذلك يجب عليه الآن وهو وزير ان يهاجم زعماء هذه الدعوة نفسها فلما تقام الاضطراب في دوائر العمال ، وحدث اضراب عمال سكة الحديد سنة ١٩١٠ استعمل سلطته السياسية لاعادة المضرين ال ورشهم . وقرأ في صحيفة « الاومانيتيه » كيف قبض على زعماء الانحداد حيث كان هو يقف خطيباً داعياً الى استعمال الاضراب وسيلة لتحقيق مطالب العمال ا في تلك الايام القائمة ، انفض من حوله الاصدقاء وبقي بالقله ، وكان من اشد مؤيديه سنوات لا يكله . ولكن لما فشل الاضراب بحزم ريان وقف على منبر المجلس ومد ذراعيه قائلاً « انشروا بيدي ليس عليهما دم »

كان قد مضى على هذا التحول في اتجاهه السياسي سنوات وهو في دور الاختيار . . الأتسمع صوت ضمير يحاول تسوية في خطبة خطبها في مجلس النواب لما تولى رئاسة مجلس الوزراء اولاً فقال :

لا يطلب مني ان اتمخس عن الآراء التي ادعو اليها وأتمك بها لان الحياة والتبعة الحكومية علمتاني ما يناقضها . فلب كل رأي عندي هو الى اى مدى تستطيع تنفيذه . اتنا نريد ان نحكم — اي اتنا نريد ان نحفظ بزاياء الحكومة كاملة غير منقوصة ، نريد كل شيء وكل انسان ان يكون في مكانه » ... ثم انقضى على ذلك اثنتا عشرة سنة غطت قائلاً : — « في كل حكومة وزراء تستطيع ان تتخذ من خطبهم ومقالاتهم السابقة اقوالاً تناقض افعالهم . وانا كانت لي أحلامي للسان ولكنني اشعر بقسمة الحكم . فأنا كالحجر الذي لبث زمناً في مجرى النهر . لقد تكسرت نواشيزه وفقد خشوته ولكنه لا يزال محتفظاً بشكله الاصلي »

ولما سألت احد اصدقائه ، وهو لا يزال من زعماء الاشتراكيين الى يومنا هذا : عن رأيه في نمو بران هذا قال : — لما كان السلاح الألماني يهدد سلامتنا كان الاضراب العام سببنا الى فقد حريتنا . ولو اني علمت حينئذ ما علمه بران في منصبه الرسمي ، لكنت فعلت ما فعلت بين سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩٣٠ تول بران منصب رئيس الوزراء احدى عشرة مرة وقول مناصب وزارية اخرى ، اشهرها في وزارة الخارجية ووزارة الحفانية — نحو اثني عشرة مرة . فهو مثل بشارك قد ولي الحكم مع احزاب اليسار واليمين على السواء . بل ان ولاية الحكم مع القريقين كان سهلاً عليه ، لان في مجلس النواب الفرنسي احزاباً كثيرة يمكن ترتيبها في اشكال مختلفة . على انه لم يكون حزباً خاصاً به بل ظل منفصلاً عن اي حزب بعينه . وهذا هو سر الاحتفاظ بمقامه طول هذه السنين وهو في الدورة

انه شبيه بالموسيقي المبدع اذا شاء غنى أو وقع مفرداً . ولكنه يستطيع ان يوقع في اية فرقة يقودها اي مدير ، بل انه يستطيع ان يتولى ادارتها بنفسه وبمجد ذلك . ولا يستطيع ان يي الحكم في بلاد ، احزابها السياسية ، في تعديل مستمر من حيث علاقتها بعضها ببعض ، الا رجل ذو خيال وثاب ، له من دقة الحس ما يقيه عراقب العثرة والسقوط

ولما كان بران لا يجيد المناوضة لانه لا يملك عنان الموضوع الذي يفاوض فيه ، فهو يستمد نجاحه من بلائته وفصاحته . لقد سمعته يخطف في جنيف وفي مجلس النواب الفرنسي ، وفي مأدبة لا يزيد حضورها على مائة ، فدهشت في كل ذلك للباطة والسهولة اللتين يبدأ بهما الكلام . انه لا يعتمد الى الحيل المرعبة في استرقاء عناية الحاضرين ، ومع ذلك فهو ممثل مبدع . باشارة بسيطة واحدة ، من النراع أو الرأس أو العينين ، يستولي على الجمهور

ولما قال بوانكاره ان بران « قائد عظيم من قواد الائتلاف » عنى ان بران يستطيع ان يعين جنوده في اضع مواقع خصمه أو اضعها . ان ذراعه الخطايبه كانت قائمة على عدم اعداد خطبه ، لانه كان من الخطايبه القلائل الذين يستطيعون ان يعتمدوا على شعورهم ومشاهدتهم واحساسهم ما يجول في نفس الجمهور وذهنه ، فيطبق خطابته على وحي الساعة . انه لا يعتمد قط الى

أحداث التأثير الذي يتوخاه « بالفاظ رنانة » بعدها قبل ارتقاء المنبر . كان يخطف في جمعة الامم بجنييف خطابة تختلف عن خطابه في مجلس النواب الفرنسي ، وكتلتهاا تحتلفان عن خطابه في حمة آلاف فرلي متجمهرين في الشارع . ولكنه لا يتكلم الفرنسية الصافية العريقة . وقد حاول احد زملائه المشهورين بعفاه الاملوب ، ان يبين لي ، الاخاليط النحوية والصفرية الكثرية التي تحتوي عليها خطب بريان . ومما لا ريب فيه ان خطبه اشد وقعاً في النفس وهو يلتقيها منها وهي تقرأ على صفحات الجرائد . وليس سبب كل هذا صوته الرخم . فقد قلت له يوماً « يشاع عنك انك تخطف من دون ان تعد خطبتك . ولكن ألا ترتب شيئاً في فكرك قبل ارتقاء المنبر » فقال « لا » . فقلت ألا تعد العبارة التي تفتح بها الخطبة على الاقل فقال « لا » فقلت « ماذا تعرف اذاً قبل ان تبدأ في الخطابة » قال « النتيجة والادلة . اسمع . ان معظم السياسيين يسيئون الى خطبتهم لان افكارهم متجهة اما الى التاريخ لياتر عنهم اقوالاً او الى الصحف . والواقع اذا احداً لا يستطيع ان يعد خطبة ما . كل شيء يتوقف على وحي الساعة . اني انظر في وجوه الحاضرين دائماً فاذا رأيت انما يتأب ، غيرت مجرى الكلام ، فاذا ابدى عناية بالاتجاه الجديد ، رأيت ذلك في عينيه . واذا كنت مالكاً عنان الموضوع ، تمكنت من تغيير اتجاه الكلام في اثناء الخطابة كثيراً ، فاذا لم يؤثر اتجاه معين في كل الحاضرين أو الاتجاه التالي في بعضهم وهكذا . السرفي كل ذلك ان لا تسح للنجر بالتسرب الى الحضور . والأضمت » ولما ولي رئاسة الوزارة الفرنسية سنة ١٩١٥ ابدى ما طبع عليه من رباطة الجأش في تلك الايام المعصية . ومع انه كان من اشده لعداء الحرب ، اعترض على نقل العاصمة الفرنسية من باريس الى بوردو في اثناء معركة لمارن ، وكان اول العائدين الى باريس بعد الفوز فيها . وفي منصبه الجديد اخرج خطة جديدة للحرب . قال : - لما كانت المانيا اقوى اعدائنا فلمهاجم اضعف هؤلاء الاعداء ولنغلبه على امره . وهكذا خطر له ان يجمع جيشاً يبعث به الى ستوليك بعد التشل في مضارة الدردنيل ، لمهاجمة تركيا وبلغاريا والنما من ناحية بلاد اليونان . فعارضة في ذلك اركان الجيش الفرنسي ودما كتشتر هذه الخطة « مغامرة البلقان » فانفع بريان بمقتة للقراد ، الى تنفيذ خطته نهزاً به الطبراء . فلما فشل الهجوم الذي قام به الجيش الفرنسي في سنة ١٩١٦ سقطت وزارته . ولكن خطة « المغامرة البلقانية » نفذت بعد خروجه من الوزارة ، وهو بعيد عن اي عمل رسمي ، فكان تنفيذها من العوائل المباشرة التي اقضت الى نهاية الحرب الكبرى . ولما علم كنصو ان بريان يسمى لتقصير امد الحرب بمناويزات غير مباشرة مع الاعداء هدده بهمة الخيانة الكبرى . ولكن بريان كان حذراً . فاصدقاه السلام حينئذ ينعون عليه فتور تأييده لهم ، كما فعل كايو ، فكان السجن من نصيبه . وكان لبريان عدوان احدهما برانكاره . ومن الاقوال الشائعة في شوارع باريس « ان

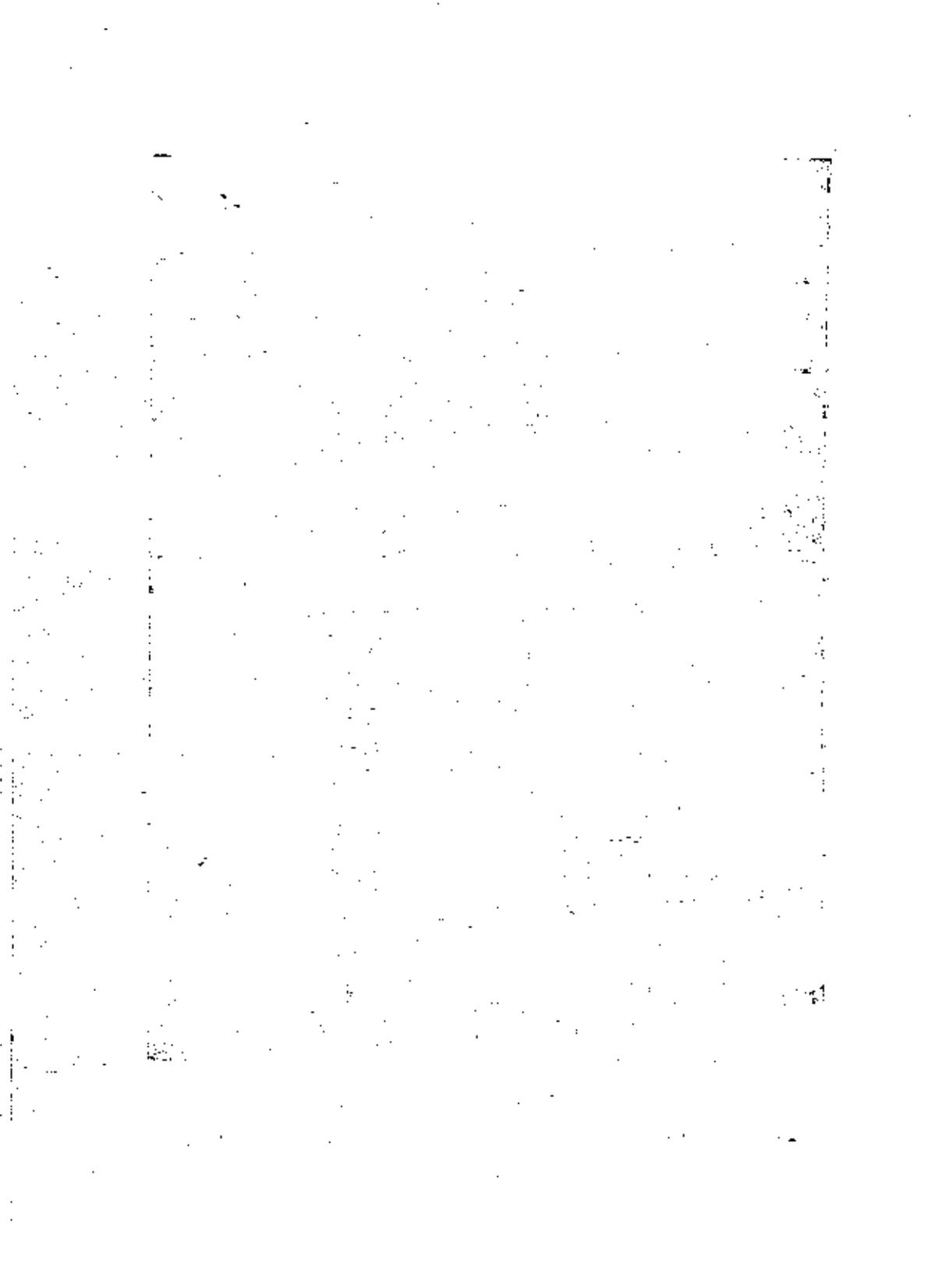
لوانكاره يعرف كل شيء ولا يفهم شيئاً . واما بريان فيجهل كل شيء ويفهم كل شيء . قال لي احد اعضاء وزارة بريان في اثناء الحرب : « كان بوانكاره يتعصب اذ يرى جهل رئيس وزارته باحدى البرقيات الخطيرة . ولكن بريان كان يحتفظ برباطة جأشه ، ويقرأ البرقية ويغير رأيه » . لان الفرق بين بوانكاره وبريان انما هو الفرق بين حوطني الرجلين — لوين وبريتاني — . فبوانكاره دقيق ، واسع الاطلاع ، متعالم ، خال من الخيال . اما بريان فلا يسري على نظام ، تراوده الاحلام ، ولا يعتمد الا على قوة خياله وشعوره .

اما النزاع بين كلمسو وبريان فكان نزاعاً بين منبض بطبعه وهو كلمسو ، وعصب بطبعه وهو بريان ، بين هدام وصيدق للانسانية . ولكن الرجلين اشتركا على الاقل في صفة واحدة . فالتاريخ يشهد ان كلمسو تفجع في الفرنسيين روح الشجاعة حتى الاستماتة في الحرب . اما بريان ، وهو عدو الحرب اللدود فلم يقتصر عنده . فانه حمل تبعه معركة فردون برباطة جأش نادرة ، وانقذ من حولة من الهبوط الى دركات اليأس والقنوط

ولكن النتائج التي وصل اليها تختلف . فكلمنصو كان من دعاة القوة الوحشية — وولد ليحارب . كان يعني ان يشرب كأس النار الى الجحيم ، وقد بنى خطته في وضع معاهدة السلام على ان الطبيعة البشرية لن تتحول ، وان السلام في اوربا سراب . واما بريان فنهج منهجاً جديداً . فانه اشار الى نفسه اذ خطب في مجلس النواب بعد انقضاء عشر سنوات على معركة فردون فقال : — « ان الرجل الذي حمل شرف تلك المعركة وتبعها ملاءه مشهد الجزيرة هلعاً ، فاقسم امام ضميره ، اذ احرز النصر ، واتبحت الفرصة ، ان يستعمل كل مقدراته وسلطته وحياته لتأييد قضية السلام ومنع تكرار مجزرة كهذه »

فما شهد بريان الحرب بعينه وزار الجنود في الصنوف المتقدمة اسبح اشده مقاومة طامحاً . وكان من نصيب اوربا — او سوء نصيبها — ان يشرف كلمسو ، لا بريان ، على وضع معاهدة السلام . وكان بريان حينئذ في باريس لا يكاد يجرؤ على الظهور

قال لي يوماً « انني احسب ولسن كالميا كريمة ولكن غير صلي . فانه صرف جانباً كبيراً من عنايته الى الحدود الاثنوغرافية ( الاثنوغرافيا علم توزيع السلالات البشرية ) والواقع ان الامة المؤلفة من سلالات مختلفة لها من تاريخها العام رابط اقوى من رابط الفرنسي . فنحن الفرنسيين خليط من خمس سلالات اوست ، ولكن المخاطر التي تعرضنا لها والاشترك في النب عن حياضنا قد وحدت بيننا . فقلت « ومع ذلك اتدت ولسن كل التأييد » . فقال « لاربي في ذلك . لانني لو اشتركت معه لكنا افلحنا في انشاء الوسائل اللازمة لتحقيق السلام التي اراده لجمعية الامم وهو السلام الذي يتسنا اليوم تقصاً مصيباً . ولكن من الجور ان توجه اللوم دائماً الى جمعية الامم . لم تمنع وقوع حرب في ثلاث ازمان على الاقل ؟ » لها تمة «

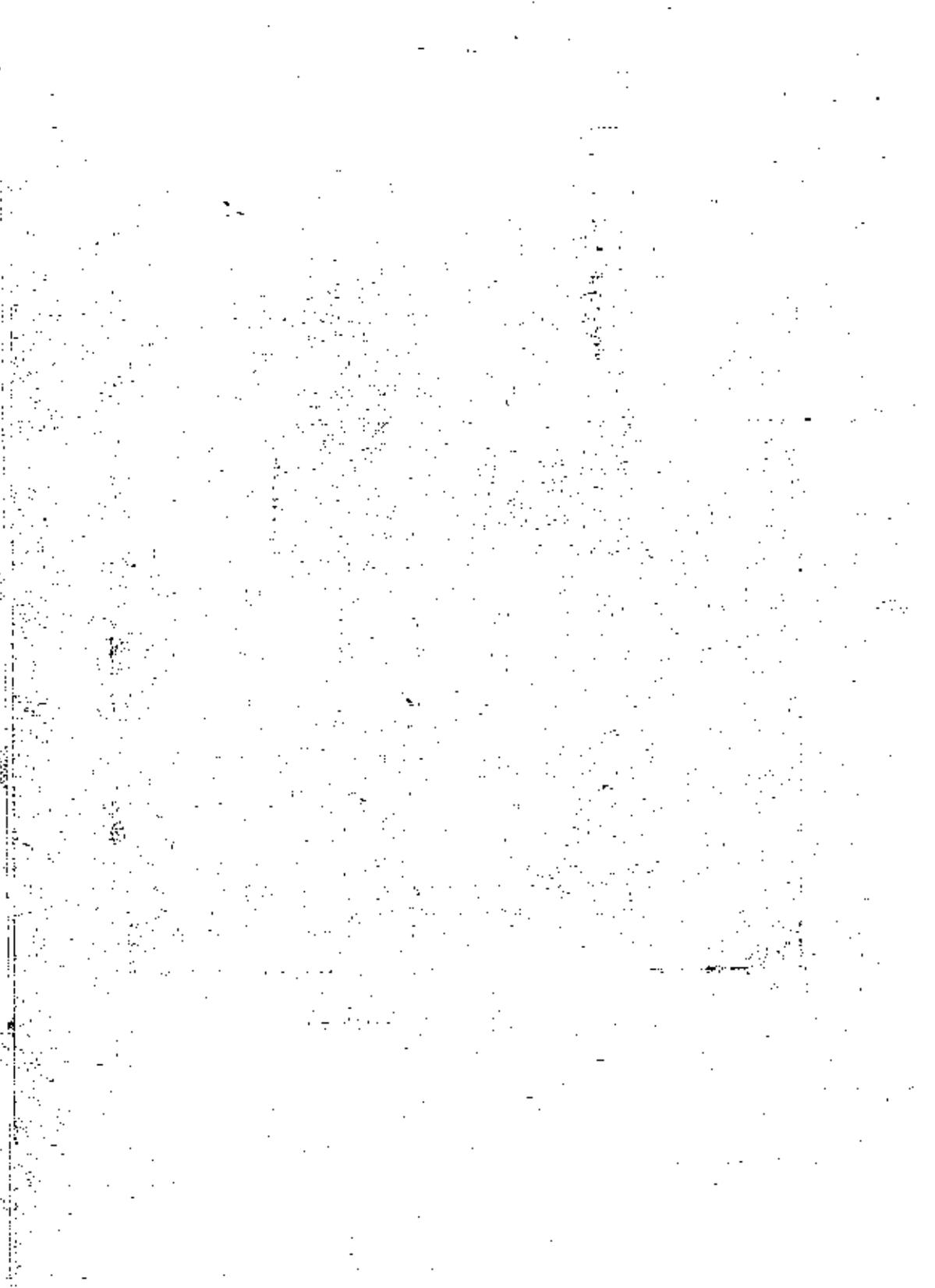


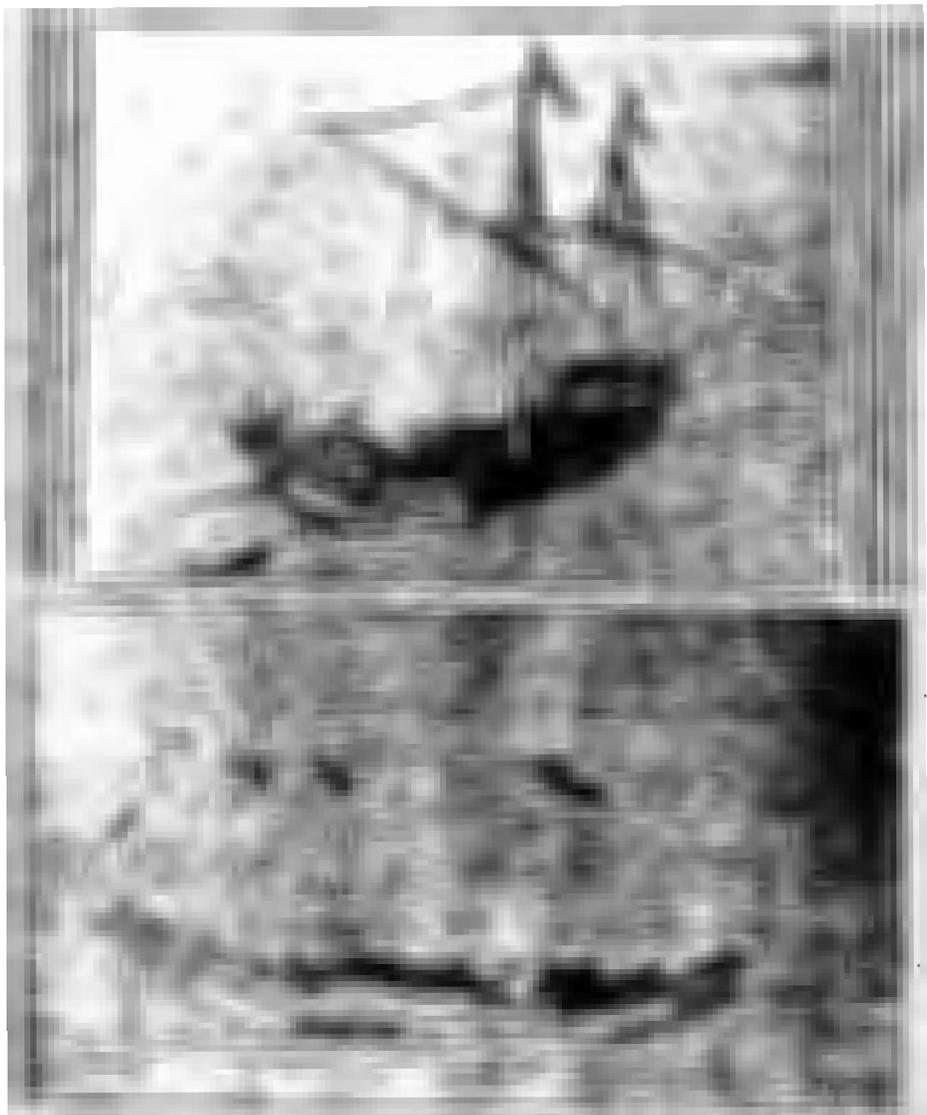


سفن مصرية صنعت في عهد الاسرة الثانية عشرة

امام صفحة ٥٨٧

متتطف مايو ١٩٣٢





صناعة السفن في عهد الأسرة الثانية عشرة